الترجمة الأدبية بين الحرفية والتصرّف

Literary translation between literal and adaptation

الدكتورة فاطمة عليوي

أستاذة محاضرة ب

معهد الترجمة (جامعة الجزائر2)

الملخص:

الترجمة الأدبية من الترجمات المتخصِّصة التي لا تكتفي بمعرفة اللغتين المنقول منها وإليها لما يثيره النص الأدبي من إشكالات تتصل بطبيعته ومادته وبيئته وزمانه... وبحكم أن اللغات لا تختلف في الأنظمة فحسب، بل وفي ثقافاتها وحضاراتها، فإنه يتعيَّن على مترجم هذا الاختصاص أن يُلِمَّ بلغة الأدب وفنون إبداعه ويطَّلع على البيئة الاجتماعية الثقافية المنتجة للعمل الأدبي المزمع نقله حتى يتمكَّن من التنقل بين عمليتي فهم النص الأصل بسياقه اللغوي وغير اللغوي وصياغة مضمونه ودلالاته التعبيرية في اللغة الهدف. وهو ما يجعل عمله الترجمي يقوم أساسا على أسلوبي الترجمة

الحرفيـــة الأمينـــة المحافظـــة علـــى خصـــائص الـــنص الأصـــل شـــكلا ومعنـــى والترجمـــة الحـــرَّة المتصـــرِّفة بإبـــداع نـــص جديـــد يبرز فيه لمسته الذاتية وثقافة لغته المحلية.

الكلمـــات المفـــاتيح الترجمـــة الأدبيـــة، المتخصصـــة، إشـــكالات، الســـياق اللغـــوي، الســـياق غيـــر اللغـــوي، الترجمـــة الحرفية، الترجمة الحرة.

Summary:

Literary translation is a kind of specialised translation that does not stop at mastering both source and target languages. Literary texts pose problem as to their nature, topic, environment and the period of time in which they were written. Languages differ in terms of system, culture and civilisation. Thus, the translator in this domain must master the language of literature, its kinds, and ought to be aware of the socio-cultural environment of the literary work they intend to translate. By doing this, they would easily shift from understanding the source text in its linguistic and non-linguistic context to rendering its content and meanings in the target language. Hence, the translator has resort, in this task, to two translation methods : a faithful literal translation which keeps the caracteristics of the text both in sense and form ; and an adaptive free translation which creates a new text, with the translator's touch, language and culture.

Keywords: literary translation, specialised, problem, linguistic context, non-linguistic context, literal translation, free translation.

تمهيد:

الترجمة الأدبية نوع من أنواع الترجمات المتخصصة التي تتطلب أن يتحكم ممارسها في اللغتين المنقول منها وإليها إلى جانب ضرورة اتساع ثقافته الأدبية وتذوق جماليات الإبداع، كما أنها لا تخلو من الذاتية واللمسة الشخصية في عملية نقل المنتوج الأدبي، ولاسيما القصة والرواية والمسرح والشعر وغيرها من الأنواع الأدبية حيث يتم فيها استخدام أساليب ترجمية تتراوح بين الأمانة (الحرفية) والإبداع (التصرف) لما يثيره النص الأدبي من مشكلات عدَّة تترتب عن طبيعته ومادته وبيئته وزمانه لدى ترجمته من لغة إلى أخرى.

الأدب والترجمة:

الأدب من الفنون الإبداعية التي يعبِّر فيها الكاتب بالشعر أو النثر عما يختلج في أعماقه و ما يحسه تجاه الآخر في مجتمعه أو خارج حدود وطنه أو أيضا ما يطمح إلى رؤيته في محيطه من قيم أخلاقية و معانٍ إنسانية. و لكي ينقل المترجم نصا أدبيا شعريا أو نثريا و يبدع في عمله الترجمي، عليه أن يتقن توظيف لغة

معيَّنة، ألا و هي لغة الأدب و يحس بجمال إنشائه و يتذوَّق فنه البديع (أنظر Delisle, 1980 : 7).

كما يتعيَّن على المترجم أن يكون قادرا على التنقل بين عمليتين أساسيتين في مساره الترجمي، ألا وهما: عمليتا فهم النص الأصل Compréhension وصياغة مضمونه Formulation. و تندرج ضمن عملية الفهم عملية تأويل معاني النص Interprétation في حين تتضمن عملية الصياغة عملية إعادة الإبداع Recréation، أي كتابة النص الأصل من جديد بعد تحليله و دراسته (أنظر Newmark, 1982 :17). ينبغي على مترجم النص الأدبي أن يقوم بعمليات التحليل و التأويل قبل عملية النقل و إعادة صياغة النص المنقول من جديد ليتمكَّن من فهم عناصره و استيعاب مضمونه على أكمل وجه باستقراء معانيه و تحديد علاقاته اللغوية و الدلالية المتشابكة و كذا إدراك قيمه الإيحائية و مقاصده البيانية (أنظر Nida, 1976 : 78). أي أنه يقوم أولا، في حالة نقله لنص ما كالنص الروائي مثلا، بعملية القراءة والتمعُّن فيه ليتفاعل مع كلماته وعباراته، ويتبيَّن وظائفها اللغوية والدلالية والثقافية داخل النص. وبما أنه قد لا يفهمه أو يفك شفراته للوهلة الأولى فإنه يضطر إلى تكرار قراءاته. وقد ينتهي به المطاف إلى

تـأويلات عـدَّة. مـا يجعـل الـنص الأدبـي قـابلا للتأويـل الواحـد أو عـدة تـأويلات بتعـدد قرائـه، و قـد يختلـف حولـه النقـاد أيضـا و يقيِّمونـه بشـكل متبـاين، عكـس النصـوص غيـر الأدبيـة ذات الأغـراض المحـدَّدة كالنصـوص العلميـة و التقنيـة و القانونيـة و التوجيهيـة...، التـي تخضـع لضـوابط معيَّنـة تجعلهـا غيـر غامضـة و قابلـة لتأويـل موضـوعي واحـد لدقـة لغتهـا و ابتعادهـا عـن التعبيـر المجـازي (أنظـر 22: Delisle, 1980). فـي حـين لا يتـأثر الـنص الأدبـي بمثـل هـذه الضـوابط المقيَّـدة، لأن طبيعتـه و غرضـه يجعـلان القـارئ يؤولـه ذاتيـا غيـر مكـره علـى طريقـة معيَّنـة فـي تناولـه. فضـلا علـى أنـه كلمـا كـان الـنص الأدبـي ثريـا بالـدلالات الجانبيـة الخاصـة بموقـف الكاتـب و الأعـراف الاجتماعيـة و الثقافيـة كـان وعـاءً لمعـاني متعـددة و تـأويلات مختلفـة و موضوعا قابلا لتعدَّد ترجمته (وادي، 1989 : 206).

ومن جهة أخرى، لا يمكن للمترجم أن يكون متقنا للغة النص الأصل وملِّما بموضوع ترجمته فحسب، بل عليه أن يفهم النص المنقول ويعيد صياغته بلغة واضحة وأسلوب جزل وبيان جميل مستغلا في ذلك كل إمكانات اللغة الهدف ومصادرها الأساسية (أنظر Newmark, 1988: 3). والترجمة الأدبية عملية إبداعية لا تقلُّ أهمية عن التأليف الأدبي إذا ما نجحت في نقل النص الأصل شكلا وموضوعا. غير أن أساليب النقل في هذا الاختصاص تنحصر بين الترجمة الحرفية أي

الأمينة والترجمة المتصرفة أي الإبداع الحر، نظرا لخصوصية النص الأدبي وعمق دلالاته وتنوع إيحاءاته مما يستدعي أحيانا قراءته عدة مرات لاستنباط سياقاته وفهم مقاصده. وترى لافولت أوليون Elisabeth Lavault–Olléon في هذا السياق أن أول خيارات مترجم النصوص الأدبية هي إما أن ينحاز إلى النص الأصل أو بالعكس يعمل على خدمة النص الهدف، حيث تقول:

« Dans le champ littéraire, le premier engagement du traducteur est de se positionner sur l'axe de la fidélité, tourné vers la source ou vers la cible : d'un côté la tangibilité des mots et du style, la personnalité d'un auteur mais aussi la forte empreinte d'une langue et d'une culture sources, de l'autre l'invariance du sens, l'attente d'un lecteur et l'appel séduisant d'une langue et d'une culture cibles… » (Lavault-Olléon, 2008 : 9)

أي أن المترجم الأدبي يكون أمينا لمعطيات النص الأصل بحكم انجذابه إلى تميز لغته ولمسة ثقافته وكذلك أسلوب مؤلفه أو خادما لغايات النص الهدف ومتطلبات المقروئية.

فما هي يا ترى دوافع استخدام أحد أسلوبي النقل: الحرفي أو الحر؟ ما هي عواقب ذلك على النص المنقول؟ هل يؤثر الأسلوب الحرفي مثلا على البعد الفني والجمالي للعمل المنتوج في اللغة الهدف؟ وهل يعتبر خيار التصرُّف تعديا على حقوق الكاتب الأصل والسياق الثقافي لمؤلَّفه الخاص؟ وهو ما نحاول تبيانه في إبراز

خصـــائص الترجمـــة الأدبيـــة الحرفيـــة والمتصـــرفة وأســـباب اللجوء إلى كلا الخيارين، فيما يلي:

الترجمة الأدبية الحرفية:

يلجأ مترجم النص الأدبي إلى النقل الحرفي لأغراض عدة ترتبط بعوامل ذاتية أو موضوعية أو بهما معا. إذ قد يتأثر المترجم بلغة الكاتب الأصل و أسلوب كتابته و ألوان ثقافته... و عليه يجد نفسه ينساق وراء لغة النص الأصل و يعمل على استخدام الأدوات اللغوية و البيانية المتاحة لحمل القارئ إلى النص المنقول بكل أمانة للمحافظة على خصوصيات إبداع الآخر، و هو ما يعبِّر عنه شلايرماخر (Schleiermacher 1992 :42) بتغريب النص Foreignization، أي إضفاء اللمسة الأجنبية على النص الهدف و إثرائه بتلك اللغة الغريبة عنه حفاظا على خصائص النص الأصل بسياقاته الثقافية و أساليبه الفنية. وهو ما جعل أنطوان برمان Antoine Berman يعترف بفضل الآخر في عملية النقل لأن الترجمة في نظره هي اقرار باختلافات مابين اللغات والثقافات، حيث يقول:

« L'essence de la traduction est d'être ouverture, dialogue, métissage, décentrement. Elle est mise en rapport, ou elle n'est rien (Berman, 1984 : 16). »

أي أن جـــوهر الترجمـــة هـــو الانفتـــاح علـــى الآخـــر، والعمـــل علـــى محاورتـــه والاخـــتلاط بـــه بعيـــدا عـــن قيـــود المركزيـــة. فهـــي تساهم في ربط الصلة أو عدمها.

اهـتم الألمـان فـي القـرن الثـامن عشـر (الـذي شـاعت فيـه الرومانسـية) بأسـلوب الترجمـة الحرفيـة وعـززوا مكانـة الـنص الأصـل، حيـث التمسـوا فـي النقـل الحرفـي للـنص الآخـر إضـافة للغـة الهـدف، أي لغـتهم القوميـة وإثـراء لأدبهـا. (أنظر 9: Guillemin-Flescher, 2003)

وفي السياق ذاته تقول لافولت أوليون:

« Les Allemands au début du romantisme, Goethe par exemple, défendaient une manière opposée de traduire, plus littérale, gardant la couleur de l'étranger dans la langue, revendiquant l'authenticité de la culture source et la richesse qu'elle apporte au texte traduit tout en nourrissant la langue cible.» (Lavault-Olléon, 2008 :10)

أي أن الألمـان دافعـوا بقـوة فـي بـدايات عهـدهم بالرومانسـية عـن الترجمـة الحرفيـة وتمسـكوا باللمسـة الأجنبيـة فـي اللغـة المنقـول إليهـا حفاظـا علـى خصوصـية ثقافـة المصـدر والثـراء الـذي تمنحـه للـنص المتـرجم وبالتـالي اللغـة الهـدف، علـى غرار ما انتهجه غوتة وعكس ما كان سائدا خارج ألمانيا.

ولمـا جـاء القـرن التاسـع عشـر الـذي شـهد انتشـار الحركـة الرومانسـية فـي أوروبـا تغيـرت النظـرة وسـاد الاعتقـاد " بـأن الترجمـات الحرفيـة تحديـدا هـي الأكثـر أمانـة ووفـاء للأصـل... ومنهـا تلـك الترجمـة "الفوتوغرافيـة" تقريبـا التـي قـام بهـا نيرفـال لـ "فاوسـت" لغوتـة، أو ترجمـة شـاطوبريان لـ

"الفـــردوس المفقـــود" لميلتـــون شـــديدة الالتصـــاق بالأصـــل، أو الترجمـــة الحرفيـــة بالغـــة الدقـــة التـــي قـــام بهـــا لوكونـــت دوليـــل لإلياذة هوميروس" (بحراوي، 2010: 173-174).

كما اتسمت بدايات ترجمة الآداب الأجنبية ولاسيما الفرنسية منها إلى اللغة العربية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر بالنقل الحرفي في بعض أعمالها المترجمة عن روائع الأدب الفرنسي، كما هو الشأن بالنسبة إلى عباس حافظ (1893–1959) في ترجمته للرواية المسرحية "سيرانو دي برجراك" Cyrano de Bergerac كما يتضح في المثال التالي لإدموند روستان Edmond Rostand من الفصل الخامس:

« Quinze ans après, en 1655. Le parc du couvent que les Dames de la croix occupaient à Paris.

Superbes ombrages. A gauche, la maison; vaste perron sur lequel ouvrent plusieurs portes. Un arbre énorme au milieu de la scène, isolé au milieu d'une petite place ovale. A droite, premier plan, parmi de grands buis, un banc de pierre demi-circulaire. » (Rostand, 1926 :191)

♦ ترجمة عباس حافظ:

بعـــد مضـــي خمـــس عشـــرة ســـنة 1655، الحديقـــة التابعـــة لـــدير شـــقيقات الصـــليب، فـــي بـــاريس أشـــجار ظليلـــة ســـامقة، إلـــى اليســـار، البيـــت الـــذي لـــه عـــدة أبـــواب تنفـــذ إلـــى

شـــرفة فســـيحة تنتهـــي بـــدرج. فـــي منتصـــف المســـرح ترتفـــع أشـــجار ضـــخمة منفصـــلة وســـط فضـــاء إهليجـــي الشـــكل، إلـــى اليمـــين فـــي الجنـــاح الأول، مقعـــد حجـــري نصـــف دائـــري، تحيط به شجيرات مخضرة (حافظ، 2012: 161).

نلاحـــظ أن عبـــاس حـــافظ قـــد تقيَّـــد بـــالنص الأصـــل وترجمـــه عبـــارة عبـــارة، ولـــم يحـــذف ولـــو كلمـــة واحـــده باســـتثناء تـــأخير جملـــة ombrages Superbes حفاظـــا علـــى قواعـــد اللغة العربية.

غير أن اللغة الهدف لا تتقبل دائما ما يفد إليها من اللغات والثقافات الأخرى، حيث تقول بربارة جودار Barbara Godard:

« Toutefois, cette logique des relations où le propre est fécondé par la médiation de l'autre se heurte à des résistances profondes dans la structure ethnocentrique de toute culture qui cherche à conserver son autosuffisance dans un retour au même. La traduction occupe alors une place ambiguë, à la fois ouverture et appropriation violente, dans une dialectique de réversibilité entre la fidélité et la trahison. » (Godard, 2001 :55)

أي أنـــه يحـــدث ويصـــطدم واقـــع الصـــلة الـــذي يتولـــد فيهـــا المنتـــوج المتـــرجم بواســـطة الآخـــر بخصوصـــيات البنيـــة

الإثنومركزيــة لكــل ثقافــة التــي تحــرص علــى الاكتفــاء ذاتيــا إذا ما تكرر الوافد ما يولد جدلية بين الأمانة والخيانة.

الترجمة الأدبية المتصرفة:

يتجــه المتــرجم أحيانــا إلــى النقــل بأســلوب التصــرف لأســباب شخصــية أو ايديولوجيــة تــدفع بصــاحب الترجمــة إلــى إعــادة صــياغة الــنص الأصــل برؤيتــه الفنيــة الخاصــة فينــتج عمــلا جديــدا و كأنــه كتبــه أساســا باللغــة المنقــول إليهــا إذ أنــه يُقْــدِم فيــه بعمليــة الحــذف و البتــر لــبعض أجــزاء الــنص المنقــول لأنهــا لا تمــت فــي نظــره بصــلة إلــى ثقافــة اللغــة المنقــول إليهــا، و هــو مــا يســميه شــلايرماخر بالتجنــيس naturalization (أنظــــــــــــــــــــــــر Schleiermacher 1992 :42) أي أن يُخْــرِجَ نَصَّــه فــي حُلَّــة مغــايرة تبــرز لمســته الذاتيــة فــي الكتابــة و تقاليــد ثقافتــه المحليــة، حيــث يقــوم بإعــادة صــياغة محتــوى الــنص المصــدر بمــا يتماشــى مــع خصــائص اللغــة الهــدف و أصــول الثقافــة المســتقبلة لكــي يضمن مقروئية النص المترجم بلغة قومه.

ويذكر أن المترجمين الفرنسيين في الفترة الكلاسيكية اتجهوا إلى الترجمة المتصرفة والمتحررة ولاسيما للأعمال الأدبية الخالدة كخيار مقصود بغية الانفراد والتميز عن الألمان الذين تقبلوا الآخر بنقل خصوصيات ثقافته كما وردت في الأصل، حيث تقول لافولت:

« La polémique a alimenté les écrits sur la traduction depuis plus de trois siècles, ayant surgi des querelles opposant les traducteurs français de l'époque classique (17*e* - 18*e* siècles) aux romantiques allemands. Les premiers étaient célèbres pour leurs « belles infidèles » qui transformaient Homère en auteur classique et élégant pour plaire aux dames de la cour, ou encore donnaient une première version « à la française », édulcorée et orientalisée, des Mille et une nuits. Leur infidélité était un engagement, contestable par ses excès, envers leur public cible. » (Lavault-Olléon, 2008 :10)

أي أن الفرنسيين لم يتفقوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الكلاسيكيين مع الألمان الرومانسيين، واشتهروا بترجماتهم المتحررة عن الأعمال الأصلية المنقول منها، والتي كانت تنعت بـ "الجميلات الخائنات" les Belles infidèles حيث أنهم جعلوا من هوميروس مؤلِّفا كلاسيكيا وأنيقا لكسب استحسان سيدات البلاط، كما قدَّموا كتاب "ألف ليلة وليلة" الشرقي بروح فرنسية كأمثلة لذلك.

شهد الأدب العربي الحديث بدوره نماذج من الترجمات المتصرِّفة، وليكن مثالنا لذلك مصطفى لطفي المنفلوطي الذي عايش بدايات الاحتكاك الثقافي مع الآداب الأجنبية، ولاسيما الفرنسية منها، في آواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حيث أنه نقل العديد من روائع الأدب الفرنسي الذي ينتمي إلى القرن الثامن عشر (عصر التنوير) دون أن يكون ملِّما باللغة الفرنسية وخلفياتها الحضارية. فنجده مثلا ينقل رواية الأدب الفرنسي Paul et Virginie لمؤلفها

Bernardin de Saint Pierre، وهو من القرن الثامن عشر المعروف بـ "عصر التنوير" و "ما قبل الرومانسية"، ويعيد كتابتها برؤية فنية جديدة وأسلوب إنشائي مسترسل وكأنها من وحي إبداعه، لأنه أعاد صياغتها بطابع محلي لم يمتثل فيما نقله بعنوان "الفضيلة أو بول وفرجيني" لمسار أحداث الرواية الأصلية بكل مجرياتها وجزئياتها. كما أنه لم يلتزم بقواعد النقل الصحيح نظرا لبدايات عهد ترجمة الآداب الأجنبية إلى اللغة العربية في مصر آنذاك وبشكل عفوي من أجل أغراض تعليمية وتثقيفية لا غير. ما جعل العديد من النقاد يصنفون مثل هذه الرواية المنقولة و ما شابهها في إطار التعريب و التمصير أو إعادة الصياغة، لأنه لم يكن أمينا في نقله و لم يحافظ على السياقات الدلالية و المؤشرات الثقافية الواردة في النص الأصل، بل جعل من الفكرة الرئيسية لبنة ليطلق العنان لمخيلته و نسج رواية، و إن كانت مشوّقة في أسلوبها المتماسك بألفاظها الجزلة و عباراتها المسترسلة لأنها من صنع أديب متميز في الأدب العربي الحديث، إلا أنها تفتقر إلى خصوصيات الرواية الأصلية بمقاييسها الفنية و ايحاءاتها الدلالية نتيجة انتهاجه أسلوب التصرف لغرض تهذيب الأخلاق و السلوك الاجتماعي، و هو ما يتضح في مواضع عدة كالمثال التالي:

– « Ma jeune demoiselle, ayez pitié d'une pauvre esclave fugitive ; il y a un mois que j'erre dans ces montagnes demi-morte de faim, souvent poursuivie par des chasseurs et par leurs chiens. Je fuis mon maître, qui est un riche habitant de la Rivière-Noire : il m'a traitée comme vous le voyez » ; en même temps elle lui montra son corps sillonné de cicatrices profondes

(de Saint-Pierre, ..par les coups de fouet qu'elle en avait reçus. 1964 : 96)

♦ ترجمة المنفلوطي:

- الرحمة يا سيدتي فإني أكاد أموت جوعا، وقد مرّ بي يومان، وأنا أجوب هذه الأحراش والغابات أتوارى مرة وأظهر أخرى، وأقتات كل ما هو فوق التراب مخافة أن تقع عيون بعض الفضوليين من الصيادين فيعيدوني إلى سيدي، والموت أهون عليَّ من أن أعود إليه، فهو رجل قاس غليظ لا يزال يجلدني ويمزق لحمي بسوطه، كلما بدا له أن يفعل ذلك، ثم كشفت ثوبها عن جسمها وأشارت إلى مواضع الضرب منه فإذا خطوط حمراء ملتهبة لا يستطيع نظر الناظر أن يثبت أمامها لحظة واحدة... (المنفلوطي، د.ت: 49).

عادة ما يميل المترجم إلى استخدام أسلوب التصرُّف عندما يعجز عن إيجاد المكافئات الضرورية في اللغة الهدف بغية نقل ما يحتويه النص الأصل من دلالات لغوية و غير لغوية، فيضطر إلى بحث ما يعوِّض ذلك كبديل لما تفتقر إليه لغته من صيغ تركيبية أو مفاهيم ثقافية تستوعب ما يزخر به النص المنقول، و لاسيما إن كان عملا إبداعيا غنيا بلغته التعبيرية وإيحاءاته الدلالية و

شحناته العاطفية، و ينتمي إلى عصر أدبي حافل بالأحداث السياسية و الاجتماعية و الفكرية و الأدبية، و كان بعيدا عن اللغة المستقبلة سواء من حيث الزمان و المكان و أيضا الظروف المعيشية و الثقافية و الايديولوجية... ما يجعل المترجم أمام خيارات وأساليب ترجمية تستوجب حنكته ومهارته. فإن كان متمكِّنا من اللغتين المنقول منها وإليها بالبعدين اللغوي وغير اللغوي قد يستدل على الطرق الكفيلة التي تُمَكِّنه من إيجاد البدائل المستساغة في نقل ما يخدم ثقافة القارئ الهدف وأعرافه الاجتماعية دون المساس بأفكار النص الأصل وجمالية إبداع صاحبه. أما إن كان غير قادر على فهم لغة النص الأصل وإدراك سياقاته الثقافية والاجتماعية والايديولوجية... فإنه يحاول أن يتصرَّف فيما ينقله إن بالحذف والبتر أو بالإضافة والإسهاب، ويكون بذلك قد انحرف عن مسار النص الأصل وخصوصياته الجمالية أو أبدع عملا جديدا من الفكرة ذاتها ولكن برؤية مغايرة ولغة إيحائية تعبِّر عن مشاعره ومواقفه وطموحاته وفق محيطه وما ينتظره منه أبناء مجتمعه مثلما هو الشأن بالنسبة إلى المنفلوطي.

قد ينزع المترجم في بعض الأحيان إلى المزج بين أسلوبي الحرفية والتصرف مما يشوِّه مقومات النص

الأصل ويؤثر على تركيز القارئ الذي يضطر إلى التنقل بين لغة المُتَرجِم الإبداعية ولغة الكاتب الأصلية (أنظر Schleiermacher 1992 : 51).

يرى داربلني أنه لا تكمن الأهمية في الترجمة بالحرفية أو التصرف، وإنما ينبغي مراعاة الدقة فيما ننقله، حيث يقول:

«…il ne s'agit jamais de traduire littéralement ou librement,…la seule chose qui compte est de traduire exactement, c'est-à-dire en respectant d'une part le sens et la tonalité de l'original…, et d'autre part l'intégrité de la langue d'arrivée sous le rapport de la structure, du génie, des images et des faits de culture. » (Darbelnet, 1970 : 94)

أي أنه لا يكمن الإشكال في أسلوب الترجمة إن كان بالحرفية أو التصرف، بل يتعين على المترجم أن يكون دقيقا في نقله، وذلك باحترام ما ورد في الأصل من معنى و نغمة موسيقية من جهة، و من جهة أخرى عبقرية اللغة الهدف في تراكيبها وصورها و تأثرها بسياقها الثقافي.

تأثير الترجمة بأسلوبي الحرفية والتصرف:

الترجمة الحرفية توحي بضرورة الامتثال إلى النص الأصل شكلا ومعنى، أي أن يكون المترجم أمينا لما ينقله، غير أن الترجمة التي يكتنفها الغموض لدى المتلقي أو تحوي أخطاء لغوية ليست بترجمة أمينة للمعنى، حيث يقول آمبارو هورتادو ألبير:

«Une traduction qui n'est pas claire pour son destinataire ou qui présente des erreurs de langue n'est pas une traduction fidèle au sens» (Voir Dancette, 1993 :142).

يعتبر برمان من أشدِّ مؤيدي الترجمة الحرفية مناهضا بذلك مفهوم التمركز العرقي في الترجمة traduction ethnocentrique من خلال مؤلفه "الترجمة و الحرف أو مقام البعد" la traduction et la lettre ou l'auberge du lointain بغرض الحفاظ على مقومات النص الأصل. فالترجمة هي مقام استقبال الغريب المتمثل في لغة الآخر الأجنبي وثقافته، وهو يرى في الحرفية فعلا أخلاقيا يسعى إلى الاعتراف بالآخر وتقبُّله (أنظر Berman 1999 :74).

بينما يرى بيتر نيومارك Peter Newmark أنه يمكن تحقيق الأمانة في النقل بأسلوبي الترجمة الدلالية la traduction sémantique، التي يعبر عنها أوجين نيدا Eugène Nida بالتكافؤ الشكلي l'équivalence formelle، والترجمة التواصلية la traduction communicative التي يقابلها بالتكافؤ الدينامي l'équivalence dynamique. فالأولى تحاول أن تكون دقيقة قدر الإمكان في نقل البنى الدلالية والصرفية بما يناسب اللغة المنقول إليها؛ أي نقل المعنى السياقي للأصل. في حين تحاول الثانية أن تحدث في القارئ أثرا قريبا لذلك الذي يثيره الأصل.

ويرى نيومارك أن اللغات تحمل شحنات ورواسب ثقافية تخلق صعوبات جمة عند النقل كونها خانات فارغة lacunes لا يجد لها مقابلات في اللغة المنقول إليها (أنظر Newmark 1981 :95). لهذا يسعى دعاة الترجمة بالتصرف إلى التأويل مثلما ذهبت إلى ذلك المدرسة العليا للتراجمة و المترجمين بباريس ESIT من خلال ماريان لوديرر Lederer و دانيكا سليسكوفيتش Seleskovitch حيث وضعتا نظرية التأويل la théorie interprétative، التي تؤكد أن الترجمة تتعدى نقل الكلمات و الجمل باعتبار النص وحدة شاملة تتعدى المعارف اللغوية إلى المعارف الموسوعية للمترجم و القارئ. وعليه، يأتي المعنى من القارئ وليس من النص، ذلك لأنه يمثل نقطة تقاطع محتوى النص مع الرصيد المعرفي للقارئ. وتقول سلسكوفيتش ولوديرر في السياق ذاته:

« Les phrases séparées de leur contexte n'ont que des virtualités de sens ».(Seleskovitch et Lederer 2001 :17)

أي أن الجمل المنفصلة عن سياقاتها تتوفر على معان افتراضية ليس إلا.

وهو ما أكدته كاتارينا رايس Katharina Reiss، وهي من أصحاب النظرية الوظيفية Théorie fonctionnelle، حيث ترى أن التكافؤ قد لا يحدث بين النصين الأصل والهدف على المستوى النصي وإنما المعجمي والنحوي لا غير، فهي تقول:

«Pour produire une traduction littérale…le traducteur choisit dans la langue-cible les mots appropriés et les structures syntaxiques pertinentes. Lorsque ces choix sont faits à bon escient, il obtient l'équivalence lexicale et l'équivalence grammaticale à l'échelon de la phrase, mais pas nécessairement l'équivalence textuelle, car un texte n'est pas qu'un chapelet de phrases isolées. » (Reiss, 2009 :144)

أي أن المترجم يعمل في ترجمته الحرفية على اختيار الكلمات الصحيحة والتراكيب الملائمة للأصل في اللغة الهدف، وقد ينجح في إحداث التكافؤ المعجمي والنحوي ليس إلا، لأنه يتعامل مع الجمل بمعزل عن النص ككل، مما قد يغيب عنه التكافؤ النصي أي التكافؤ في المعاني الدلالية الشاملة لمجمل النص.

الخاتمة:

يبقى أسلوب الترجمة مرتبط بخيارات المترجم التي تنشأ عن مجموعة عوامل قد تكون موضوعية أو ذاتية أو بتضافرهما معا، أي أنه يتعين عليه مراعاة نوعية النص

الأدبي وطبيعة لغة أسلوبه وفترة زمن إنتاجه وظروف بيئة إبداعه إلى جانب تحديد الغاية من نقله وقراءة ردة فعل متلقيه... ما يجعله يتحمل مسؤولية جسيمة يعمل من خلالها على حفظ أمانة الكاتب الأصل في نقل عصارة أفكاره و جمال إبداعه لإحداث الأثر الفني ذاته في اللغة الهدف، و لاسيما إن كان منبهرا بثراء اللغة المنقول منها و معترفا بسيادة ثقافتها و ما يمكن أن تنتفع به لغته الخاصة، كما هو الشأن بالنسبة لتأثير اللغة الانجليزية و سيطرتها على باقي اللغات الأخرى، أو بالعكس تدفعه إلى التحرُّر من قيود النص الأصل بعناصره اللغوية و أدواته الفنية حرصا منه على إثبات الذات المبدعة و الدفاع عن ثقافته القومية، خاصة في حال تضارب الايديولوجيات و اختلاف المؤشرات الثقافية و المعتقدات الدينية ما يضطره إلى خلق وضعيات و مواقف إبداعية جديدة كبديلة للأولى ليضمن نجاح عمله و تحقيق مقروئية واسعة في نطاق مجتمعه و بيئته الثقافية، لأنه استطاع أن يكيِّف العمل المنقول بما يثري ثقافته المحلية و يعزز ثوابتها مع أنه لم يمتثل لخصوصيات النص الأصل و الظروف التي ساهمت في إنتاجه.

وأخيرا يمكن القول إن النص الأدبي لا يمكن نقله بسهولة، لأنه من النصوص المشحونة بالدلالات اللغوية

والايديولوجية والثقافية المرتبطة باللغة المنتجة له مما يستدعي قراءته وتحليله وتأويله عن دراية وتمعن لفهم سياقاته الضمنية وإيحاءاته الخفية والعمل على إعادة صياغته بالأساليب الترجمية المتاحة للمترجم وإمكاناته المعرفية في ذلك.

البيبليوغرافيا:

- المنفلوطي، مصطفى لطفي (د.ت). الفضيلة أو بول وفرجيني. بيروت، لبنان: المكتبة العلمية الجديدة.

- بحراوي، حسن (2010). أبراج بابل، شعرية الترجمة: من التاريخ إلى النظرية (ط.1). المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. سلسلة بحوث ودراسات 44.

- روستان، إدموند (2012). سيرانو دي برجراك (تر. عباس حافظ). القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

- وادي، طه (1989). دراسات في نقد الرواية، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

-Berman, Antoine (1984). *L'Épreuve de l'étranger. Culture et traduction dans l'Allemagne romantique*. Paris, Gallimard.

——————— (1999). *La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain*. Paris, Seuil.

- Darbelnet, Jean (1970). "Traduction littérale ou traduction libre". Méta : journal des Traducteurs. Vol.15, N°2, 88-94.

- Dancette, Jeanne (1993). Compte rendu : "Hurtado Albir, Amparo (1990) : La notion de fidélité en traduction. Paris, Didier Erudition, 236p". Méta : journal des Traducteurs. Vol.38, N°1, 140-143.

-Delisle, Jean (1980). *L'Analyse du discours comme méthode de traduction*, Ottawa, Presses de l'Université d'Ottawa.

- Godard, Barbara (2001). " L'Éthique du traduire : Antoine Berman et le "virage éthique" en traduction ". Meta : journal des traducteurs. 14(2), 49-82.

- Guillemin-Flesher, Jacqueline (2003)." Théoriser la traduction " . Revue française de linguistique appliquée. 2 (Vol. VIII), 7-18.

- Lavault-Olléon, Elisabeth (2008). "La traduction comme engagement ". Dialogue des cultures : de la traduction. Ecarts d'identités. N° 113.Grenoble, Association ADATE.

-Newmark, Peter (1981). *Approaches to Translation*, Oxford and New york, Pergamon.Co

——————— (1982). *Approches to Translation*, Oxford, Pergamon Press.

——————— (1988). *A Textbook of Translation*, Prentice Hall International.

-Nida, E. A. (1976). *A Framework for the Analysis and Evaluation of Theories of Translation*, Brislin.

- Reiss, Katharina (2009).*Problématique de la traduction*. Préface de Jean-René Ladmiral (Traduit de l'allemand par Catherine A. Bocquet). Paris, Ed. Economica.

- Rostand, Edmond (1926). *Cyrano de Bergerac*. Paris, Eugene Fasquelle Editeur

- Schleirmacher, F. (1992). "*On the Different Methods of Translating*" InVenuti, L. (2000). *The Translation Studies Reader*. London and New york, Routledge.

- Seleskovitch, Danica, Lederer, Mariane, (2001). *Interpréter pour traduire*. 4ème édition. Paris, Didier.